المحور 1: **الإشكاليات العامة للفلسفة الغربية المعاصرة:**

تمهيد:

في هذه المحاضرة نتناول الإشكاليات العامة للفلسفة الغربية المعاصرة، والتي تعبر عن تميزها عن أشكال الفلسفات السابقة عليها قديما وحديثا، فإذا كانت تلك الفلسفات الكلاسيكية تجد طبيعة الفلسفة في بناء أنساق متعالية ومطلقة، وعقلانية مجردة، وتحافظ على استقلالية الفلسفة عما عداها، وتختزل الفلسفة في مذاهب معدودة، فهل الفلسفة المعاصرة هي استمرار لتلك الصفات أم أنها تقوم على عقلانية جديدة ؟

الفلسفة واللافلسفة:

هناك من يعطي الفلسفة طابعا خاصا تتميز به عما عداها، فهي متميزة في ماهيتها التي تنفتح على تأويلات متعددة، فهي حب الحكمة عند فيثاغورس، وهي البحث في الوجود بماهو موجود عند أرسطو، وهي الحكمة التي تعرفنا بمعرفة الصانع من خلال العلم بمصنوعاته عند ابن رشد، وهي تأويل الخبرة الانسانية في أبعادها اللغوية والجمالية والتاريخية عند هانز جورج غادامير، وهي التحليل المنطقي للأفكار عند كارناب، وأخيرا وليس آخرا هي عملية تأويل النصوص في علاقتها بعمليات الفهم عند بول ريكور...

ومن حيث **الموضوع:** لازالت الفلسفة تبحث في الوجود أي الأنطولوجيا، وتبحث في المعرفة والعلم أي نظرية المعرفة والابستمولوجيا، كما تبحث في القيم الجمالية والمنطقية والأخلاقية، وهي موضوعات تمتاز بالشمول والكلية والتجريد.

ومن حيث **المنهج**: تتناول الفلسفة هذه الموضوعات من خلال التأمل العقلي والنقدي أو التحليل المنطقي أو المنهج الجدلي...فمناهج الفلسفة الكلاسيكية متعددة ولكن يبقى طابعها التأملي والعقلاني والمنطقي ماثلا فيها ومميزا.

ومن حيث **النتائج:** يصل الفيلسوف دائما إلى رأي في إشكالية معينة، وقد يصل غيره إلى رأي آخر، فاختلاف الآراء في الفلسفة من طبيعة الفلسفة نفسها، بل إن ما يطرحه الفيلسوف من أسئلة ربما كان أفضل من الإجابات التي يقدمها على رأي كارل ياسبيرس.

كل هذه المؤشرات الدالة تجعلنا نستنتج أن الفلسفة نسق فكري متميز، تمتاز بروحها الفلسفية العقلانية والنقدية والمنطقية التي تميزها عن أنماط التفكير الأخرى.

لكن هذا الرأي يبقى رغم وجاهته وقوته وتمثله من قبل النزعات العقلانية والمثالية، يبقى رأيا ناقصا ولا ينطبق بشكل كامل على الفلسفة المعاصرة التي غزت جميع المجالات المعرفية والعلمية والعملية والحياة اليومية نفسها، فلم تعد الفلسفة مجرد أنساق عقلية مجردة.

وهناك من يرى أن الفلسفة المعاصرة انفتاح على اللافلسفة، أي انفتاح كامل على ما عداها من المعارف والعلوم والثقافات والأديان والخرافات والأساطير، وانفتاح على الحياة العملية بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية واليومية، " فالخطاب الفلسفي ليس موجها للفلاسفة فقط، بل هو موجه إلى أي قارئ، بل يحتاج إلى قراءتين قراءة الفيلسوف وقراءة الإنسان العادي" على حد تعبير جيل دولوز، ورغم الطابع المفاهيمي العقلاني تبقى المفاهيم الفلسفية محايثة للوقائع، وتكمن قدرة الفيلسوف في صياغته لتلك المفاهيم، وعندما نتساءل: ما الذي جعل الفلسفة تنشأ في اليونان وليس في أي مكان آخر ؟ يجيب دولوز بأن ذلك يرجع إلى قدرة الفلاسفة الطبيعين على تحويل ملاحظاتهم للطبيعة إلى مفاهيم فلسفية مثل العلية والكثرة والوحدة والتجريد...

تاريخيا الفلسفة تطورت شيئا فشيئا عن أشكال من التفكير قبلها، ولكن تطورها اللاحق أدى إلى بروز مختلف العلوم المادية والإنسانية، فهي على حد تعبير ديكارت: الشجرة التي جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء وأغصانها بقية العلوم، فهي الكل الشامل الذي يشمل كل هذه المعارف والعلوم، ولكنها تتأثر بها أيضا، ولطالما كانت الرياضيات أنموذجا للفلسفة عند أفلاطون وديكارت خاصة.

تأسيس الفلسفة المعاصرة يرينا أنها تنبني على أسس علمية ولغوية وعملية براغماتية، وهذا يعني أنها تتأسس على معارف وثقافات خارجة عن طبيعتها العقلية المجردة والشاملة، حيث

ترجع فلسفات مثل البنيوية والتفكيكية والتأويلية وفلسفة التحليل اللغوي إلى اللسانيات وفلسفة اللغة وتحليل الخطاب والنقد الثقافي، بينما تتأسس فلسفات مثل الوضعية المنطقية والواقعية الجديدة والتجريبية المعاصرة والتطورية عند سبنسر والحيوية عند برغسون على مفاهيم العلم والمنطق الرياضي والبيولوجيا ونظريات العلم المعاصر.
وأما انفتاح الفلسفة على الحياة العملية فقد فروعا فلسفية جديدة مثل فلسفة الدين، والفلسفة السياسية وفلسفة الفعل والفلسفة واليومي والأخلاقيات التطبيقية مثل البيوإتيقا والأخلاق القضائية والأخلاق البيئية...
بل إنه كثيرا ما أصبح الفيلسوف المعاصر يستمد مناهجه من حقول أخرى في دراسته للقضايا الفلسفية، حيث استخدم نيتشه المنهج الجينيالوجي وفقه اللغة، واستخدم فوكو المنهج الأركيولوجي والبنيوي بطريقته الخاصة، واستخدم فيتجنشتاين منهج التحليل اللغوي...
غير أن الفيلسوف الفرنسي فراسوا لارويال F. Laruelle لايرى في مفهوم اللافلسفة مفهوما يناقض الفلسفة، بل هو عنده طريقة في التفكير في الفلسفة من خارج الفلسفة، أي التفكير في الفلسفة كمادة ذات محتوى فكري دون إرجاعها إلى أي مركزية، وهذا ينطبق عنده على التفكير في الدين أو الأسطورة أو العلم أو السياسة، ويترتب على ذلك رفض القرار الفلسفي الذي يدعي تقديم تفسير نهائي لإشكالياته،بإرجاع تلك الاشكاليات إلى الذات أو الموضوع، الله أو العالم... فميل هذه الثنائيات الميتافيزيقية بالنسبة له مرفوضة.
لكن هذا الموقف الذي يربط الفلسفة باللافلسفة موقف لا يقدر مميزات الفلسفة الخاصة، كما أن ارتباط الفلسفة باللافلسفة لا يعني اضمحلال الفلسفة في ما عداها من علوم ومعارف وثقافات، بل إن تداخلها مع اللافلسفة قد يكون مصدر إغناء لها. كذلك سلب الفلسفة طريقتها في ارجاع الأشياء الى مبادئ تفسرها تبقر محل تساؤل.
خلاصة: إن علاقة الفلسفة باللافلسفة هي علاقة جدليةٍ، حيث في الوقت الذي تنفتح فيه الفلسفة على ما عداها من علوم ومعارف وثقافات فإنها تحافظ على طابعها العقلاني والنقدي التأويلي الخاص بها.

أ- لغة الفلسفة:

التساؤل عن **لغة الفلسفة** يطرح تداخل هذا المصطلح مع مصطلح **فلسفة اللغة**، فهذا الأخير اذا كان يعني ذلك الفرع من الفلسفة الذي يعنى بدراسة اللغة، فإن لغة الفلسفة يعني تلك اللغة التي يستخدمها الفيلسوف في التعبير عن أفكاره الفلسفية، لذلك الإشكال المطروح حول لغة الفلسفة هو: هل يمكن للفلسفة أن تصطنع لنفسها لغة خاصة للتعبير عن موضوعاتها، أم أن الفلسفة تستخدم اللغة العادية ؟

هناك من يرى أن الفلسفة في حاجة لاستخدام لغة اصطناعية ورمزية، بإمكانها التعبير بدقة عن القضايا الفلسفية، وهذا ما ذهبت إليه النزعة الوضعية المنطقية وعلى رأسها كارناب وموريس وقد وافقهما الرأي في البداية كل من برترندراسل وتلميذه فتجنشتاين في مرحلته الفلسفية الأولى، حيث اللغة العادية تنطوي على ألفاظ مشتركة ومختلفة المعنى وتعبيرات غير دقيقة ينعكس استخدامها سلبا على طرح المشكلات الفلسفية وعلى حلولها، لذلك فإن " مشروع البناء الصوري لكارناب وموريس يخطط لنسخة مزدوجة من علم العلامة ثلاثي الأبعاد: النحو، علم الدلالة، التداولية التي يجب أن تطبق كعلوم للإشارات التجريبية وصوريا البنائية معا" وهكذا يمكن تطبيق العلامات على كل مستويات اللغة النحوية والدلالية والتداولية، ويصبح في الإمكان استخدام لغة أكثر دقة بامكانها التعبير عن القضايا الفلسفية بشكل واضح، وما دام الخطاب الفلسفي يروم الحقيقة فهو يتطلب منطقا تحليليا يستخدم لغة رمزية.
غير أن هذا المسعى الوضعي الذي لا يفرق بين الحقائق العلمية والفلسفية لم ينجح، وبدأ الانقلاب عليه من بعض صانعيه أنفسهم، فإذا كانت الحقائق العلمية تتطلب اللغة الرمزية فإن الحقائق الفلسفية تتطلب اللغة العادية الغنية بدلالتها، بحسب فيتقنشتين Wettgenstein، إن اللغة العادية أو الطبيعية تتضمن قصدية المتكلم في تعبيره عن الأشياء، وهو أمر لا يمكن الخلط بينه وبين

دلالات الأشياء نفسها، ومن ثمة فإن " العلاقة الدلالية بين اللغة والوقائع ليست هي نفسها مثل تلك التي توجد بين موضوعين مطروحين حاضرين في العالم."
إنطلاقا من هذه الحقيقة يذهب فلاسفة آخرون إلى أن لغة الفلسفة هي اللغة العادية أو الطبيعية، ولكن سعى كل فيلسوف إلى استخدامها بطريقته الخاصة التي تستجيب لنظريته الفلسفية، حيث تحمل اللغة مثلا عند هيدجر طابعا أنطولوجيا، فاللغة تسكن الوجود الفردي المتعين أو الدازاين، فهو في نظرته إلى ذاته ومحاولته ايضاح وجوده لذاته يستخدم اللغة، واللغة الأقرب عند هيدجر لمعاينة هذا الوجود الخاص هي اللغة الشعرية حيث تشعر الذات بحريتها أكثر وتعبر عن أعماقها.ويرى بول ريكور أن التجربة الإنسانية لا تعرض نفسها مباشرة بل تعرض نفسها من خلال الرموز والنصوص والثقافات والأفعال الإنسانية، والواسطة التي تجمع بين كل هذه المجالات هي اللغة الطبيعية العادية الغنية بدلالتها والتي تحتاج الى تأويل وفهم وتفسير.
لكن هذا الموقف بدوره لا يجب أن يتجاهل أخطاء اللغة والمغالطات التي يمكن أن تنشأ عنها في الخطاب الفلسفي المعاصر، حيث اللغة حمالة معاني وتتغير بتغير الظروف والأحوال والأنساق الحضارية والثقافية المختلفة.
ومنه نستنتج أن لغة الفلسفة تبقى هي اللغة الطبيعية التي تختلف مفرداتها ومصطلحاتها من تيار فلسفي إلى آخر، فهي اللغة التي تستطيع أن تستوعب كل القضايا الشاملة في مختلف المجالات التي تتطرق لها الفلسفة المعاصرة، والتي لا يمكن أن تتجاهل أخطاء اللغة وأغاليطها.

د-الفلسفة المعاصرة والعلم:

العلم هو كل معرفة موضوعية ومنهجية يقدمها العالم عن الظواهر التي يدرسها، ولقد عرفت العلوم المعاصرة توسعا وتنوعا كبيرا شمل الظواهر المادية والإنسانية على السواء، وإذا كانت العلوم المختلفة قد انحدرت عن تطور التفكير الفلسفي، فما علاقة الفلسفة المعاصرة بالعلم ؟ هل تخلت الفلسفة المعاصرة عن العلم أم أنها لازالت تتأسس عليه وتستفيد منه ؟
إن علاقة الفلسفة بالعلم هي علاقة مستمرة من خلال مبحثها الابستمولوجي، الفلسفة تسائل العلم من الداخل عن بنيته ومناهجه وقيمته وحدوده، نلاحظ أيضا تيارات فلسفية تتأسس على العلم وتصيغ مفاهيمها ومناهجها على معطياته مثل الوضعية المنطقية والتطورية والواقعية الجديدة، وكذلك التغيرات العلمية المعاصرة مثل النسبية ونظرية الكوانتم ونظرية الطفرة الوراثية وعلم الأعصاب أثرت على الفلسفة ونظرتها إلى الحقيقة، وشككت في بنائها النسقي المطلق ونظرتها الى الذات والزمن والسببية والحرية، وإذا كانت التقنية من نتائج العلم فإنها أيضا طرحت مشاكل الوجود الإنساني في ظل التقنية والذكاء الإصطناعي والرقمنة..
لكن من جهة أخرى، علاقة الفلسفة بالعلم هي علاقة صراع فهما يختلفان من حيث الموضوع والمنهج والنتائج، وكثير من التيارات المعاصرة واجهت النظرة العلمية بالنقد والتمحيص وأوضحت مخاطر استخداماته التطبيقية في الطب والحروب، وكثير من هذه التيارات مبنية على أسس أخرى غير العلم، فهي تنتقد العلم أو تتجاوزه لكي تتأس س على معايير لغوية أو حيوية أو إنسانية مثلما هو حال الهرمينوطيقا الفلسفية وفلسفة برغسون والفلسفة النقدية والوجودية، فهابرماس وكارل بوبار وبول فيرابند درسوا العلم وأوضحوا أنه ليس محايدا، بل تحكمه الايدبولوجيا والثقافة
يتبين مما سبق أنه داخل كل تيار فلسفي معاصر مفهوما للعلم: إما يجعله أساسا لنظرته الفلسفية أو يزحزحه إلى عامل ثانوي ويقدم عليه التجربة الإنسانية، أو ينظر إليه نظرة نقدية... وفي جميع الأحوال العلم حاضر في الفلسفة المعاصرة.

ج- العقلانيات المؤسسة للفلسفة الغربية المعاصرة:

مفهوم العقلانية الكلاسيكي يحيلنا إلى تحكم العقل في فهمنا ومعرفتنا للأشياء، في هذه الحالة العقلانية هي إرجاع كل شيء إلى العقل، وهذا ما نجده عند أفلاطون وديكارت وسبينوزا وغيرهم من العقلانيين.

لكن العقلانية المعاصرة هي عقلانيات مركبة، فهي العقلانية التركيبية التي تضم اتجاهات متعددة تأخذ من بعضها البعض، وتمتاز بالنسبية، ولا تختزل الحقيقة في معيار واحد. بل إنك قد تجد هذه العقلانية عند فيلسوف واحد أو في المدرسة الواحدة، فعندما تنظر إلى فلسفة بول ريكور تجد أنها تركيب من الاتجاه الوجودي والفينومينولوجي والتأويلي والتأملي والبنيوي...في تركيب واحد منسجم يعبر عن فلسفته في التأويل.

ويمكن أن نفهم من مصطلح العقلانيات جملة الاتجاهات والتأويلات والمدارس التي تؤسس للفلسفة المعاصرة. وكلا التعريفين الأخيرين مكملان لبعضهما، فهناك عقلانيات أو تأويلات مؤسسة للفلسفة الغربية المعاصرة لكنها تمتاز بخصائص العقلانية المعاصرة في التعدد والنسبية والانفتاح.

لقد بدأ هذا التحول من العقلانية الكلاسيكية إلى العقلانية المعاصرة مع النقد الكانطي للاتجاهين الكبيرين في الفلسفة الحديثة: التيار العقلي والتيار التجريبي، حيث الفلسفة الكانطية تقوم على مقاربة تركيبية لا تعطي لا للعقل ولا التجربة دورا مطلقا.

حدث هذا التحول أيضا في الابستمولوجيا مع غاستون باشلار وتوماس صامويل كون T.S.Kohnفي كتابه " بنية الثورات العلمية " وبول فييرابند P.Feyerabend في كتابه " ضد المنهج " حيث يرفض نموذج واحد ثابت ومطلق للعلم، فنظرية أنشتاين في النسبية غيرت جذريا مفهوم الفيزياء الكلاسيكية كما أسس لها نيوتن خاصة. لكن سبب هذا التحول يظهر أيضا في بروز المنهج الأكسيوماتيكي في الرياضيات، حيث أصبحت كل نظرية في الرياضيات تقوم على مسلماتها الخاصة، ولم تعد تقوم على مبادئ مطلقة كما كان يظن اقليدس وديكارت. وبالنتيجة أصبحنا أمام عقلانيات جديدة في الفلسفة، فما هي أهم هذه العقلانيات المؤسسة للفلسفة الغربية المعاصرة ؟

يعرض علينا بوخنسكي في كتابه" الفلسفة المعاصرة في أوربا" نماذج لما يعتبره بعض الفلاسفة تشكيلا للتأويلات الفلسفية المعاصرة:

فمثلا **برترند راسل** يقسم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة إلى ثلاثة اتجاهات:

1) الفلسفة المثالية الألمانية ويمثلها كانط وهيغل وفيخته وشلنج
2) الفلسفة البراغماتية والعملية مع جون ديوي ووليام جيمس وبيرس.
3) الفلسفة الحيوية خاصة عند برغسون.
4) الفلسفة الواقعية المتصلة بالعلم ويدخل في إطارها الوضعية المنطقية الانجليزية، الواقعية الجديدة عند إدواد مور.

أما **وولف إرنست** W.Ernest فقد قسم التأويلات الفلسفية المعاصرة إلى ستة أقسام:

1) المذهب المادي: ويقصد به المذهب الوضعي من ارنست ماخ الى ايستهود.
2) المذهب المثالي المطلق: مع برادلي وبوزنكيت
3) مذهب التعدد الروحي: جيمس هود تايلور.
4) مذهب فلسفة الحياة عند وليام جيمس وبرغسون وجون ديوي
5) مذهب الواقعية مع الكسندر صامويل، جورج مور، راسل,
6) مذهب التجربة المعيشة مع الظواهرية عند هوسرل والهرمينوطيقا الرومانسية عند شلايرماخر.

ويذهب **بوخنسكي** الى تقسيم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة إلى ستة اتجاهات أيضا وهي:

1) الاتجاه المادي: ويندرج تحته الواقعية الجديدة عند راسل وجورج مور والوضعية المنطقية والمادية الجدلية عند ماركس وانجلز
2) الاتجاه الروحي أو المثالي: ويعبر عنه أكثر برونشفيك وكاسيرر وكروتشه.
3) الاتجاه الأنطولوجي: أو ما يسمى بفلسفة الكينونة أو الوجود مع هوايتهد وألكسندر صامويل في انجلترا، ولوفر ولويس لافال في فرنسا وأيضا هاريتمان.
4) الاتجاه الوجودي: مع كيركيجورد، هيدجر، سارتر، وغابريال مارسيل.

5) الاتجاه الحيوي: يجمع بين البراغماتية وبرغسون
الاتجاه الظواهري أو الفينومينولوجيا: مع هوسرل.
هذا الاختلاف في التصنيف يبيح لنا أن نقدم رأينا، وبالتالي يمكن تصنيف التأويلات أو العقلانيات المعاصرة إلى ما يلي:

أ- الفلسفات المعاصرة المبنية على أساس علمي مثل الوضعية المنطقية والواقعية الجديدة والتطورية، فهي فلسفات تتخذ من النظريات والمناهج العلمية والمنطق الرياضي أنموذجا للتفلسف.

ب- الفلسفات المعاصرة المبنية على أساس لساني لغوي مثل البنيوية والتفكيكية والهرمينوطيقا الفلسفية، وفلسفة التحليل اللغوي، فهذه الفلسفات استخدمت الرموز والنصوص والثقافات الإنسانية كنماذج للتحليل والتفسير والتأويل، وأصبحت تأويلاتها المتعددة أكثر هيمنة على الفكر الفلسفي المعاصر.

ت- الفلسفات الإنسانية التي اتخذت من الوجود الإنساني أنموذجا للتفلسف سواء كان هذا الوجود الإنساني فرديا أو جماعيا، وفي هذا الشأن تعد الوجودية والشخصانية والفلسفة الحيوية عند برغسون أمثلة على هذا الاتجاه.

ث- الفلسفات النقدية التي جاءت استمرارا للفلسفة الكانطية أو ما يسمى بالكانطية الجديدة مثل مدرسة فرانكفورت النقدية وفلسفة هابرماس وإريك فروم.

ج- الفلسفات المادية والبراغماتية مع ماركس والماركسيين بعده وفلسفة بيرس وجون ديوي ووولیام جيمس

ح- وأخيرا، الفلسفات التأملية المنحدرة عن ديكارت ومين دو بيران وجون نابير.

استنتاج: نستنتج مما سبق أن هناك اختلاف بين الفلاسفة في تحديد أهم الفلسفات المؤسسة للفلسفة الغربية المعاصرة، مع ذلك يمكن القول أن الفلسفة المعاصرة تشهد تنوعا غير محدود لهذه الفلسفات الجديدة، لا سيما في السياق الثقافي الغربي.

خلاصة: يتضح مما سبق أن الفلسفة الغربية المعاصرة لم تعد تنتظم في أنساق مغلقة كما هو حال الفلسفة الحديثة، بل هي فلسفة مفتوحة على اللافلسة أي على العلوم والمعارف والفنون والثقافات الأخرى، وتتشكل من عقلانيات متعددة تركيبية ونسبية فيها ما يتأسس على العلم وفيها ما يعارضه، فهي فلسفة متعددة في أسسها وتياراتها وبنائها لمفاهيمها وتصوراتها.